الجيش:

كان الجيش خلال القرن الأول للهجرة يتكون في أساسه من العنصر العربي بحكم ان العرب هم مادة الاسلام، إلا ان ذلك لم يكن حائلاً دون مشاركة بعض العناصر غير العربية التي دخلت الاسلام كالفرس والروم وغيرهم من سكان المناطق الشرقية، مثل بخارى وسمرقند وفرغانه، وقد مُنح هؤلاء حقوق المُقاتلة العرب نفسها من حيث العطاء والرزق من أجل كسبهم للإسلام، كما سمح لهذه العناصر بالتحالف والارتباط بأية قبيلة شاءوا او الاحتفاظ باستقلاليتهم[(١)].

هناك فئة اخرى ضمن عناصر الجيش في العصر الأموي هي الموالي العتاقة اي الرقيق الذي أُعتقوا من الدولة او من قبل أسيادهم لأسباب عديدة، ولم يكن لهذه الفئة نصيباً في العطاء بل انهم اذا اشتركوا في المعارك مع أسيادهم الذين تربطهم بهم رابطة الولاء يأخذون نصيبهم من الغنائم فقط، كما ان بعضهم كان يفرض لهم في العطاء إلا ان عطائهم كان أقل من عطاء المُقاتلة العرب، ومن الملاحظ ان السلطة الأموية اتجهت الى زيادة عطاء هذه الفئة من الموالي[(٢)].

والجدير بالذكر ان المؤسسة العربية الاسلامية طوال فترة الاسلام كانت تعتمد على مبدأ الأمة المقاتلة الذي اثبتت فاعلية كبيرة خلال عصر النبوة والخلافة الراشدة، إذ ان المقاتلين كانوا يقتلون من أجل العقيدة الاسلامية ويعدون ذلك جهاداً في سبيل الله لنشر الاسلام وتوسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية. أما في العصر الأموي فقد حرص الخلفاء وولاتهم على الأمصار على أن يربطوا مصلحة القبائل العربية المقاتلة ولا سيما في بلاد الشام بمصلحة عناصر الجيش، غير ان نجاح السلطة المركزية في الأقاليم البعيدة عن مركز الدولة كان يتوقف الى حد كبير على خلق الظروف والاوضاع التي تحفز المقاتلين على المشاركة في الحرب وذلك من خلال توثيق العلاقة الجيدة بين الولاة ورؤساء القبائل هناك[(٣)]. كذلك عمد خلفاء بني أمية على انتهاج سياسة خاصة في الشام، فجعلوا في كل جند من بلاد الشام قبيلة معينة فسكن في جند قنسرين قبائل قيسية في غالبيتها، أما جند دمشق فقد كانت غالبة عليها قبائل كلب وجذام. في حين كانت اليمانية غالبة على جند حمص، وقد كان لهذا الاجراء أثراً في إبعاد القبائل ولو لفترة محدودة عن الصراعات الداخلية ومكنت الخلفاء الأمويين على ان يحفظوا التوازن بين هذه القبائل. وقد أشار الطبري الى ان بعض خلفاء بني أمية او ولاتهم قد قاموا بمحاولات لتغيير التنظيم العسكري المعمول به

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٢٠.

(٢) فاروق عمر وآخرين، النظم الاسلامية، بغداد، ١٩٨٧، ص١٤٧.

(٣)فاروق عمر وآخرين، النظم الاسلامية، ص١٤٩.

واصلاحه عن طريق دمج القبائل وربطها برابطة جديدة اكثر قوة من رابطة القبلية، فذكر ان الوالي الأموي أسد القسري حاول سنة (١٠٧هـ) نقل الجند من البروقان الى بلخ وأسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسيم القبلي، حيث كان الجند في البروقان منقسمين الى أخماس[١]. كذلك بذل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جهوداً كبيرة من أجل التخفيف من أثر النفوذ القبلي عندما أمر نصر بن سيار بن عبد الرحمن بأن يسقط من الديوان (العطاء) أسماء المقاتلة الذين يرفضون القتال، وأمره بأن لا يضغط عليهم، وانه سيوجه اليه مقاتلة جدد ممن يرغب في القتال. مما يؤكد ادراك الخليفة بوجود بعض المقاتلة ممن لا يرغبون في القتال وليس للسلطة ان تحملهم على ذلك[٢].

ولا شك ان غياب الجيش النظامي الدائم والمرتبط بالدولة قد جعل الخلافة الاموية تخضع لميول وأهواء شيوخ القبائل في أقاليم الدولة المختلفة، غير انه لابد من الاشارة الى وجود وحدات شبه نظامية دائمة في العصر الأموي مثل كتيبة الحرس الخاص بالخليفة التي اطلق عليها معاوية اسم (الغمامة)، هذا بالإضافة الى الكتائب التي كانت ترابط في المدن المهمة كما ظهرت أواخر العصر الأموي كتائب بأسماء قادتها وكانت أقرب الى الفرق العسكرية النظامية وكان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد أدخل نظام الكراديس او الكتائب إلا ان الوالي الأموي أسد القسري حاول سنة (١٠٧هـ) نقل الجند من البروقان الى بلخ وأسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسيم القبلي للمقاتلة بدلاً من الصفوف، ويعني هذا النظام من التعبئة العسكرية تقسيم الجيش الى خمسة أقسام رئيسية، المقدمة ثم الميمنة ميسرة وقلب في الوسط، ثم كتيبة في الخلف وراء الجيش تعرف بالساقة، وكانت هذه الكتائب تعبأ على شكل أهلّة أو مربعات أو مثلثات[٣].

صنوف الجيش

كانت الصنوف الاساسية التي يتألف منها الجيش العربي الاسلامي تتألف من الخيالة (الفرسان) والرجالة (المشاة) ،والرماة (النشابون) ، ثم اضيفت اليها صنوف اخرى اقتضتها طبيعة المعركة ، مثل المنجنيقيين ،والدبابين ، كما اقتضت الضرورة ايضاً ايجاد وحدات عسكرية اخرى كانت تقوم بتهيئة كل مستلزمات المعركة من ادوات الحصار وشق الطرق ،وبناء المعسكرات

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٤١.

(٢) فاروق عمر واخرين، النظم الاسلامية، ص١٥٠-١٥١.

(٣) العبادي واخرون، الحضارة الاسلامية،١٩.

،وأخلاء الجرحى ،والتجسس على العدو وسنشير فيما يأتي الى كل صنف من هذه الصنوف لنتعرف على دوره وواجباته في المعركة.

١. الخيالة (الفرسان)

أهتم العرب بالخيل اهتماماً كبيراً ،ويعود هذا الاهتمام الى عهود مبكرة سبقت الاسلام ، وقد ازدادت الحاجة الى الخيل في الاسلام ، لاسيما بعد فرض الجهاد لضرورتها في ساحات القتال ، لهذا اقتناها الرسول (ص) وشجع المسلمين على تربيتها تطبيقاً لقوله تعالى : ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ...))[١]، وقال الرسول عنها ايضاً : ((الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، اتخذوا من نسلها وباهوا بصهيلها المشركين[٢]، ولهذا فقد حرص العرب على اقتنائها والاكثار من عددها من معركة الى أخرى ، فمن فرسين فقط كانا مع المسلمين في معركة بدر ازداد العدد الى عشر الاف في غزوة تبوك ،وتضاعف أربع مرات اخرى ، حتى قيل ان الخليفة عمر بن الخطاب(رض) ومن كان يحمل الناس على أربعين ألف فرس [٣].

لهذا ازدادت قوة الفرسان في عصر الراشدين ، حتى ان الخليفة عمر خصص قوات من الفرسان تبلغ أربعة الاف فارس في كل مصر من الأمصار الاسلامية مهيئة عند الضرورة لتكون عدة للطوارئ ، اذا ما تعرض ذلك المصر الى خطر مفاجئ وقد تطورت فرق الفرسان بعد قيام الدولة الأموية ، وتوالي انتصارات العرب على جبهات القتال فكانت معظم القوة العربية الضاربة في العصر الأموي تتألف من الفرسان بالنظر لاهمية هذا الصنف في تقرير النتائج النهائية للمعارك ،وكانت تقع على كتائب الفرسان واجبات عديد لما تمتاز به من سرعة الحركة والمناورة ،وقوة الصدمة ،ومن أهم هذه الواجبات الهجوم ،والالتفاف ،والمطاردة ،والاستطلاع ،والحماية [٤].

أما أسلحة كتائب الفرسان ، فكانت تتألف من الاسلحة الرئيسية المعروفة ، وهي السيف والرمح والقوس ،وقد استخدم الفرسان هذه الأسلحة جميعاً ببراعة فائقة.

---

(١) سورة الانفال : آية ٦٠.

(٢) محمد بن عمر بن واقد الواقدي ،، كتاب المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، ط٢ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٤ : ١٠١٩/٣ –١٠٢٠.

(٣) محمود احمد محمد سليمان عواد ، الجيش والقتال في صدر الاسلام ، الاردن – الزرقاء ، مكتبة المنار ، ١٩٨٧ ، ص٤١٦.

(٤) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص١١٧–١١٩.

وامتاز على اعدائهم بذلك ، كما زودوا خيولهم بالركاب من الحديد في بداية العصر الأموي ،ويذكر أن المهلب بن ابي صفرة كان أول من اتخذ الركاب من الحديد ،وكانت الخيول تدرع ايضا بدروع من الجلد او الحديد لحمايتها من أسلحة العدو.[1]

٢-الرجالة (المشاة)

الرجالة هم الجند الذين يقاتلون وهم راجلون ، كانوا يؤلفون القسم الاعظم من القوات العربية ،ومهمتهم الأساسية في القتال هي الاصطدام المباشر مع العدو وتحطيم قوته الرئيسية والتقدم في صفوف متراصة وفي ثبات ومن هيئة تلقي الرعب في جنود العدو ،مع التزام الصمت التام ،لأن الهدوء والصمت يساعدان على الضبط ودقة التنفيذ .وكانوا يخرجون عن هذا الصمت للتكبير في حالة مقتل قائد العدو ،أو فرار اعدائهم ، بحيث يكون لهذا التكبير أثره في افزاع قلوب الاعداء ،وتحطيم روحهم المعنوية ومن واجباتهم ايضاً التصدي لقوات الفرسان المعادية ، وابطال حركتهم ،وابعاد خطرهم عن طريق عقر خيولهم ، أو افزاعها وتنفيرها . كما يكلف الرجالة أيضاً واجب الحرسات ، أو السيطرة على المناطق الحيوية مثل المضائق ،والوديان ،والدروب ،وكان الرجالة يلبسون الدروع الواقية من ضربات العدو ، ويضعون على رؤوسهم الخوذ لحمايتها [2].

٣-الوماة (النشابون)

الرماة هم الجند الذين يحملون الأقواس التي يرمون منها السهام ويعد هذا الصنف من الصنوف الاساسية للقوات العربية ،وقد برع الرعب في استخدام هذا السلاح الى درجة كبيرة وفاقوا اعداءهم وشهدت معارك التحرير الاولى في عصر الراشدين نماذج من هذه البراعة ، فقد كان لخاد بن الولد فرقة من الرماة ، كان لها دوراً حاسماً في احراز النصر عند حصاره لأهل الانبار سنة ١٢ هـ / ٦٣٣م ، فتشير احدى روايات الطبري [3]، الى ان خالدا ((تقدم الى رماته ، فأوصاهم وقال اني أرى اقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها ، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا ففقء الف عين يومئذ فسميت تلك الواقعة ذات العيون))

وقد تطور هذا الصنف في القوات العربية الى درجة كبيرة في العصر الاموي حيث سمى العرب به واشتهرت في العصر الأموي الى جانب الفرق العربية فرقة من رماة البصرة تدعى بالبخارية ، وقد أسلفنا أن عبيد الله بن زياد جاء بهم من بخارى وأسكنهم في احدى محلات البصرة .وقد تظلهم الحجاج بعد بناء واسط الى هذه المدينة ومن المحتمل انه استخدمهم ضمن قواته من

---

(١) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص١٢١-١٢٣.

(٢) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص١٢١-١٢٣.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك،ج١، ص٢٦٠.

جند الشام وكان للرماة دوراً كبيراً في المعارك التي غالباً ما تبدأ بتراشق النبل لايقاع اكبر الخسائر في صفوف العدو ،ولكن دور الرماة يبر في الدفاع اكثر من الهجوم ،لأن الرامي يكون في حالة الوقوف اكثر دقة في الرمي والاصابة من الرامي المهاجين الذي قد تؤثر حركته على دقته في التصويب ، لذلك فإن وضعها المضائق وفق اسوار المدن والقلاع يكون اكثر فائدة[1].

٤-المنجيقيون والدبابون

وهؤلاء هم الجند الذين يعملون على آلة المنجنيق لرمي جيوش الاعداء بالحجارة والمواد الحارقة ، والذين يرافقون الدبابات التي تستخدم في التقرب الى أسوار الاعداء لغرض هدمها ،أو احداث ثغرة فيها وهم من صنوف الجيش الفعالة ، لما لهذه الاسلحة من تأثير على سير الحروب وأرباك الجيوش ، لاسيما في حصار المدن وكانت بعض المجانيق المستخدمة كبيرة جداً ، فقد كان لدى محمد بن القاسم الثقفي في حملته على السند منجنيق ضخم يقال له العروس ، يعمل عليه وقت الرمي خمسمائة رجل ، نصبه على مدينة الديبل (كراجي الحالية) فأصاب سارية المعبد الرئيس في المدينة الأمر الذي أدى الى تطير العدو من ذلك وجزعه [2]، وقد استخدمت المجانيق في اماكن اخرى وضمن حملات عديدة في العصر الاموي ، ولاشك ان هذه المجانيق الكثيرة كانت تتطلب اعداداً كافية من الرماة والعمال الذين يقومون بتشغيلها ،ونصبها واصلاحها.

أما الدبابون ، فكان عملهم ينحصر في دفع الدبابة وهم محتمون في داخلها من حجارة الاعداء وسهامهم . وحينما يقتربون من اسوار العدو تبدأ مهمتهم الأساسية برمي المواد المشتعلة ، ونقب الاسوار بالمعاول والفؤوس بهدف احداث ثغرة فيها ،ويبدو أن صنف الدبابين كان ثانوياً في العصر الأموي ، لعدم استخدام هذا السلاح على نطاق واسع : ومع هذا فقد وردت اشارة الى استخدام الدبابة في الأندلس من قبل موسى بن نصير حينما حاول حصار مدينة ماردة ، فقد أمر بعمل ((دبابة فدب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها ...))[3].

٥-الفعلة :

تطلبت الحروب الكثيرة التي خاضها الجيش العربي الاسلامي وجود فئات متعددة من الرجال الذين لايدخلون ضمن الصنوف المقاتلة ، لأن مهامهم كانت تتركز على الاعمال الادارية ،والقيام بشق الطرق ،وحفر الخنادق ،وإقامة الجسور ،والقناطر ،وحفر الآبار ،وردم الخنادق ،وغيرها من العمليات التي تتطلبها طبيعة المعارك المتنوعة والمتسعة في العصر الأموي .وقد

(١) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص١٢٤.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٢٤.

(٣) اخبار مجموعة ، ص١٧.